تكريم أجساد القديسين

اعداد القس

أباكير عبد المسيح فرج

المقدمة

الشهداء فى الكنسة القبطية مكانة خاصة ، فهى كنيسة الشهداء وتقويمها هو تقويم الشهداء. كان هناك دائماً اتجاه شعبى لتكريم أجسادهم وتقديم الاكرام الأئق بهم كان ذلك يصل أحياناً إلى حد عدم دفن أجسادهم فى التراب. بل حفظها فى صناديق داخل المنازل، وايقاد الشموع والأنوار أمامها للتبرك بها.

كانت العادة التحنيط لا تزال جارية بصورة أو بأخرى للحفاظ على حالة جسد المتوفى كما هى بقدر الإمكان لم تقتصر عادة التحنيط على الميسورين من العامة بل كانت موجودة أيضاً فى الأوساط الكنسية . فيشهد بالاديوس فى التاريخ اللوزى أن راهبات الأديرة الباخومية فى صعيد مصر كن يضعن على أمواتهن بعض المواد للحفاظ على الجسد بعد الموت.كذذلك عثر فى بردية على منظر للبابا بتموثاوس الأول فى هيئة مومياء محنطة وفى وصية على ورق البردي يوصى الأنبا أبراهام أسقف هرموتيموس من أواخر القرن السادس وريثه بقطر أن يعتنى بتحنيطه وإقامة يوم تذكار نياحتة.[1]

[1]- المرجع السابق ص 90

تعريف:

تأتي كلمة ذخائر أو رافات من فعل ذخر الشيء أي خبأه وحفظه لوقت الحاجة إليه، وبمعنى آخر أبقاه. ومن فعل أبقاه أتت كلمة بقايا RELIQUIAE باللغة اللاتينية و Relics باللغة الإنكليزية لتعني بقايا الموتى بالإجمال، ومع الوقت أخذت معنى دينيًا إذ خصّصت الكنيسة هذه اللفظة لبقايا القدّيسين وما يختص بهم: رفات – لباس – أدوات.

الكتاب المقدَّس[2]:

بعض الامثلة في

العهد القديم:

الميت الذي سقط في القبر مسّ جسد النبي الميت. "فيما كانوا يدفنون رجلا اذا بهم قد راوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه[3]

-عظام يوسف الصدّيق حفظت بعناية واهتمام وأصعدت من مصر ودُفنت في شكيم . كثيرون ماتوا في مصر ولم تنتقل إلاَّ ذخائر يوسف وحدها لأنه كان صدّيقًا وقديسًا. أمر غريب فعلاً، ففي العهد القديم اعتبرت ملامسة جسد الإنسان الميت "نجاسة."

-العهد الجديد:

المرأة نازفة الدم إذ لمست ذيل ثوب المخلص نالت الشفاء.

ظل بطرس كان يشفي مرضى.[4]

وصنع الله على يد بولس قوات عظيمة، حتَّى أنهم كانوا يأخذون عن جسمه إلى المرضى مناديل أو عصائب فتزول عنهم الأمراض وتخرج منهم الأرواح الشريرة".[5]

[2] =https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/%D8%B0%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF-%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AA%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AB%D9%88%D8%B0%D9%83%D8%B3%D9%8A-%D8%A9/856/

[3] -(2مل13:21)
[4] -(أع 5:14-16)
[5] -(أع١١:١٩-١٢)

إكرام بقايا القديسين بحسب التاريخ المسيحي[6]:

-الحفاظ وإكرام ذخائر القدّيسين يعود إلى الأزمنة المسيحية الأولى، وهو تقليد مستمر في كنيستنا. الكنيسة تعبد المسيح فقط وتكرّم الذخائر.
-كل مائدة في الكنيسة الأرثوذكسيّة تحوي ذخائر مقدسة، وهو تقليد مسيحي قديم جدًا.
-في منتصف القرن الثالث أثبت كبريانوس القرطاجي إكرام أدوات تعذيب الشهداء بقوله: إن أجساد السجناء من أجل المسيح تقدّس سلاسلهم (الرسالة ١٣)
-في القرن الرابع خبّر القدّيس باسيليوس القيصري عن الاحتفال الرسمي الذي كان يحصل في تذكار يوم استشهاداتهم.
في زمن الاضطهادات كانت الافخارستيا تقام في روما فوق قبور الشهداء.
-كانت أجساد القديسين في الشرق خصوصًا "تنبش" (تكشف) وتقسّم أجزاء وتنقل من مكان إلى آخر، كانتقال ذخائر القديس "بابيلاس" سنة ٣٥١، وفي القرن الرابع كان نقل البقايا يتم باحتفالات مهيبة. ونذكر على سبيل المثال نقل بقايا القديس نيقولاوس إلى "بارى" في ٩ أيار ونقل بقايا القديس يوحنا الذهبي الفم إلى القسطنطينية في ٢٧ كانون الثاني. وكانت تجري عجائب جمّة

[6] http://www.alkalema.net/taklid/rfat.htm-

المفهوم اللاهوتي لبقايا (ذخائر) القديسين

أ– مفهوم عام لعبارة بقايا (ذخائر) القديسين: في الأصل تعني أن أي،RELIQUIAE كلمة بقايا باللغة اليونانية وباللغة اللاتينية الكلاسيكية شيء من بقايا الأموات، ولكنها مع الوقت أخذت معنى دينيًا إذ خصصت الكنيسة هذه اللفظة لبقايا القديسين وما يختص بهم: كالأجساد والأدوات التي استعملها القديس خلال حياته الأرضية وكل ما تبقى من الأدوات التي تألم بها وأدّت إلى استشهاده.

والبقايا هي جلد القديس، هيكله، ثيابه وكل شيء مادي استعمله حتَّى موته، وفي كثير من الأحيان الأواني المقدسة والأدوات التي كانت لها علاقة مع جسده.

ب– تقديس المادة: لقد أتى الإله ليقدّس المادة ويطهرها ويرفعها عندما قَبِل أن يصير جسدًا. لأن جسدنا نحن البشر هو من مادة هذا العالم، ولكن هذه المادة بعكس ما يقوله بعض الفلاسفة اليونان القدماء، مثل أفلاطون، الذين يعتبرون الجسد كسجن للنفس والمادة بحدّ ذاتها فاسدة، أو كالهرطقة الغنوسية التي تؤكد أن المادة هي شرّ.

فهي بحد ذاتها جيدة، لأنَّها خليقة الله. لكننا يمكن أن نعتبرها قد فسدت بعد السقوط مع فساد طبيعة الانسان. ولكن هذا لايعني انها لا يمكن أن تتقدس من جديد، لأن المسيح قد أتى ليقدسها. لذلك عندما يتقدس الإنسان نفسًا وجسدًا، "أجسادكم هي أعضاء المسيح (1 كو 6: 15) وهيكل الروح القدس" (1 كو 6: 19)، وهذه هي دعوتنا أن نتقدس بكليتنا.

نرى في معموديتنا عندما يقدّس الماء ويعاد إلى طبيعته الأصلية، انه يتجاوز طبيعته نفسها: فالمسيح بنزوله إلى الأردن، وباعتماده؛ حوّل الماء إلى قوة الفداء لكل البشر، وجعلها تحمل نعمة الفداء في العالم.

وفي المنظار نفسه، الإنسان المسيحي الذي يلتصق كليًا بالمسيح تتحول مادة جسده بنعمة المسيح فيمتلئ جسمه من الروح القدس ويكون انعكاسًا ونقً لا لقوة المسيح في العالم، وجسده كلّه يصير إلهيًا لأنه ملتصق بالاله المتجسّد.

لقد صار الإنسان عبدًا للقوات الشيطانية عندما صار عبدًا للعالم ومادّته. وتحرير الإنسان يبدأ بتحرير المادة، أي تطهيرها وفدائها، وباعادتها إلى وظيفتها الأصلية: وسيلة لحضور الله، وحماية ودفاعًا ضد الواقع الشيطاني المدمّر.

فالمادة، بالمنظار المسيحي للعالم، ليست محايدة أبدًا. لأنَّها إذا لم "تربط بالله" أي إذا لم ينظر إليها وتستعمل بمثابة وسيلة للشركة معه والحياة فيه، تصبح حاملة لما هو "شيطاني"، بل مكان وجوده بالذات.

وليس من قبيل الصدفة أن رفض الله والدين في عصرنا قد تبلور في المبدأ القائل بالمادية، وبأن المادة هي الحقيقة العلمية المطلقة، وأن لا بد من خوض حرب ضد الله باسم "المادية"، هذا الرفض لم يسبق له مثيل وهو مستمر في أجزاء تتسع باستمرار في عالمنا الذي يفترض أنَّه متحضر.

ولكن ليس من قبيل الصدفة أيضًا أن الدين الكاذب والروحانية الكاذبة غالبًا ما يقومان على رفض المادة، وتاليًا رفض العالم نفسه، وعلى جعل المادة مرادفة للشر أي التجديف على خليقة الله.

ورفض التدخل الإلهي في المادة كان من الأسباب التي أدّت بمحاربي الأيقونات إلى هرطقتهم واحتقار بقايا القديسين، فهم لم يرفضوا عقيدة التجسد من الناحية النظرية، بل على العكس فقد بنوا عقيدتهم بناءً عليها، أمّا من الناحية التطبيقية فرفضوا تقديس المادة بشكل عام وتأله الإنسان بشكل خاص، وبكلام آخر رفضوا قبول نتائج التجسد: تقديس الأشياء المنظورة، العالم المادي، وبالتالي لم يفهموا كل التدبير الخلاصي.

إن الكتاب المقدَّس والايمان المسيحي ينفردان باختبار المادة واظهار أنها صالحة في جوهرها، مع امكانية تحوّلها إلى اداة ناقلة لسقوط الإنسان وعبوديته للموت والخطيئة، ووسيلة يسرق بها الشيطان العالم من الله. ولكننا نستطيع "في المسيح" وبقوّته أن نحرّر المادة ونستعيدها كرمز لمجد الله ووجوده، وكسرّ لفعله وشركته مع الانسان.

إن التقديس سواء أكان تقديسًا للماء أو للخبز والخمر في سر الشكر لا يكون أبدًا معجزة ظاهرة و "مادية"، ولا تحويلاً يمكن أن تتفحصه حواسنا أو تبرهنه. فالواقع أنَّه في "هذا العالم" أي بحسب مقاييس هذا العالم وقوانينه "الموضوعية" لن يحصل شيء للماء، ولا للخبز والخمر.

كما أن فحص هذه المواد مخبريًا لن يؤدي إلى ملاحظة أي تغيير أو تحوّل فيها. وقد اعتبرت الكنيسة دائمًا أن انتظار تحوّل كهذا أو محاولة البحث عنه هما خطيئة وتجديف. فالمسيح لم يأت ليستبدل المادة "الطبيعية" بمادة "تفوق الطبيعة" بل ليستعيدها ويحققها باعتبارها وسيلة للشركة مع الله.

إن الماء المقدَّس في المعمودية والخبز والخمر المقدسين في سر الشكر تمثّل كامل الخليقة، لكنها تمثّلها كما ستكون في النهاية، أي عندما تتمّ في الله، ويملأ الله كل شيء بنفسه. فالتقديس إذًا،

هو تجلّي تلك النهاية وظهورها، أي تلك الحقيقة النهائية التي من اجلها خلق العالم، فتحققت بالمسيح عن طريق تأنسّه وموته وقيامته وصعوده، ويعلنها الروح القدس في الكنيسة الآن، وستتم في الملكوت "الآتي".

ولأن التقديس هو دائمًا تجلّي نهاية كل الأشياء فإنه لا يكون "نهاية بحدّ ذاته". فالانسان يرى أن الخبز والخمر هما حقًا "جسد المسيح ودمه" لكي يحصل على شركة حقيقية مع الله. وليس في الكنيسة الأرثوذكسية عبادة للقرابين المقدسة ذاتها أو من اجل ذاتها، لأن تحقق سرّ الشكر يكمن في شركة الإنسان وتحوّله. ومن اجل هذا بالضبط، اعطي هذا السر.

والماء المقدّس حتَّى يظهر ويكون غفرانًا للخطايا وفداء وخلاصًا، أي حتَّى يكون ما هو مقصود لكل مادة أن تكون: وسيلة لغاية، أما الغاية فهي تأله الإنسان ومعرفته الله وشركته معه.

ج- تحوّل الجسد: تقدّر الكنيسة الجسد الانساني تقديرًا كبيرًا. ويشهد على ذلك تجسّد المسيح، أي قاعدة خلاص الإنسان والعالم بأجمعه. ويوضح الرسول بولس: "ففيه يحلّ كمال الألوهة حلولاً جسديًا" (كول2: 9، انظر فيل 2: 5-11، عب 2: 13-18، اش 8: 18، أع 8: 9). قد اختبر التلاميذ ذلك على جبل التجلّي وبعد القيامة. فجسد الرب لم ينحلّ داخل القبر، بل أُنهض ولمسه الرسل حتَّى الجروح (مز 15: 9-10، لو 24: 39، يو 2: 21، 20: 27، أع 31-32، رؤ 5: 6).في خليقة المسيح الجديدة يصير الجسد الانساني "عضو المسيح" و "هيكل الروح القدس" (1 كور6: 15-19)، ويُدعى الإنسان إلى تمجيد الله "بجسده" (1 كو6: 20)، وإلى تقديمه "ذبيحه حية مقدسة مرضية عند الله" (رؤ12: 1) "لكي تظهر في أجسادنا حياة المسيح أيضًا (2 كو 4: 10).: فإنسان الخليقة الجديدة هو "ذرية الله" (أع 17: 18) ومساهم في مجد الله الذي يعكسه بجسده (2 كو 3: 18)

معايير ومحاذير في طقس رفات الشهداء والقدِّيسين[7]

قرَّر مجمع "غنغرا" المكاني حوالي سنة 340م عقوبة الفرز لمَن يحتقرون رفات القديسين ليس شرطاً أن لا يتحلَّل جسد القديس أو الشهيد. كما أن عدم تحلُّل جسد إنسان متوفي لا يقطع بأنه قديس، ذلك لأن تحلُّل الأجساد أو عدم تحلُّلها يرجع إلى عوامل طبيعية لا تمتُّ للقداسة أو عدم القداسة بصلة. جسد المسيح وحده هو الذي لم يَنَل فساداً، لأنه هو وحده الذي كان بلا خطية.

لم يكن ممكناً تقسيم رفات القديس ولا اقتطاع أو نقل جزء منه لأماكن أخرى، وبالتالي المتاجرة فيه. هذه الممارسات كانت ممنوعة قديماً بحكم القانون الروماني Codex Theodosians الذي أصدره الإمبراطور المسيحي ثيئودوسيوس. ولكن لأن هذا القانون لم يُنفَّذ في الشرق، فقد تمَّ نقل وتقسيم رفات القديس بابيلاس (أنطاكية - سنة 351م)، ثم ترحيلها إلى القسطنطينية.

إلاَّ أنه في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، فقد امتنع نقل أعضاء القديس إلى خارج ديره، أو الشهيد بعيداً عن المكان الذي استُشهِد فيه. وكمثال لهذا، حادثة رجوع جسد القديس أنبا مقار إلى ديره بعد ما سرقه أهل شبشير (بلدة القديس القديمة). ومثل هذه الحادثة تكرَّرت في سِيَر قديسين آخرين.

ولكن، من جهةٍ أخرى، في سِيَر بعض قدِّيسي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كان الأمر مختلفاً. فالقديس أنطونيوس خشي من مثل هذا التكريم لرفاته، فطلب إخفاءه (كما ورد في سيرة القديس أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس الرسولي)؛ وكذلك القديس باخوميوس؛ وغيرهما من القديسين الأقباط بالذات.

ولكن بسبب كثرة الشهداء في الأزمنة القديمة، فقد نشأت تجارة بيع الرفات أو أجزاء منها؛ لذلك كثر بناء الكنائس الصغيرة (مقامات للشهداء) في الحقول وعلى جوانب الطرق. لذلك أصدر مجمع قرطاجنة المكاني القانون رقم 83 الذي يقول" استحسن المجمع أنَّ المذابح التي نُصبت في الحقول وعلى جوانب الطرق مقاماتٍ للشهداء، ولم يكن فيها أجساد أو رفات للشهداء، أو لم يكن في الإمكان إثبات وجودها هناك؛ يجب على الأساقفة أصحاب السلطة أن يأمروا بهدمها إذا أمكن القيام بهذا. على أنه إذا استحال هذا الأمر بسبب هياج الجماهير، فيجب أن يعظوا الشعب على كلِّ حالٍ بألاَّ يُتردَّد على هذه الأماكن ويجب ألاَّ يُسمح بإقامة تذكارات الشهداء إلاَّ حيث توجد أجسادهم، أو بعض رفاتهم المقدسة، أو في الأماكن التي شاع - بموجب تقليد قديم - أنها كانت مسكناً للشهيد أو مِلكاً له أو البقعة التي تمَّ فيها استشهاده. أما المذابح التي نُصبت في أيِّ موضع بسبب أضغاث أحلام، أو استعلانات باطلة لبعض القوم؛ فيجب كشف بطلان والقصد من تحديد أماكن حفظ رفات القديسين، هو الانتفاع من تذكُّر سيرتهم وقدوتهم التي الروايات بشأنها عاشوها وسط شعبهم أو ديرهم، والاستشفاع بصلواتهم كما كانوا يفعلون أثناء حياتهم في هذا العالم.

[7] http://www.stmacariusmonastery.org/st_mark/sm021006.htm-

فى كتابات الآباء

كان الاتجاه الرسمى فى الكنيسة فى البداية كان بتوجس خفية من تبعات عدم دفن أجساد القديسين والشهداء ووضعهم فى مقابر، وأيقاد الشموع أمامهم ، بل كانت تدفن فى التراب مثل غيرهم أمر غير لأئق.

فأجساد القديسين الأنبياء قد دفنت فى الأرض كذلك جسد السيد المسيح قد وضع فى القبر.

1- ق. أثناسيوس :

كتب فى رسالتة الفصحية الحادية والأربعين لعام 369 م يقول :

" لم يُسلمنا آباؤنا مثل هذا بل حسبوا عملاً كهذا تعد للوصية. ففى القديم قرر الله على آدم حُكماً أنت تراب وإلى تراب تعود."بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». " [8]هذه الكلمة تنطبق على كل واحد من ذرية آدم. وفى كل مكان يُدفن الموتى. هكذا فعل إبراهيم واشتري مغارة عفرون، وهناك دفن سارة امرأته. بعد ذلك دفن إسحق إبراهيم ، وفى ذات المغارة دُفن جسد يعقوب... فى موضعين يذكر الكتاب المقدس عن الأنبياء أنهم دُفنوا... لا نتعجب ؛ لأن الموضع الخارجى (البستان) يشهد أن جسد الر ب قد وضع فى القبر"[9]

2- ق. أنطونيوس :

كان له نفس رأى ق. أثناسيوس و أوصى تلاميذه أن يدفنوا جسده فى التراب.

" ألحّ الأخوة عليه فى البقاء إلى جانبهم ليموت هناك. فلم يقبل لأسباب كثيرة. كما كان يظهر بصمته. والسبب الرئيسى هو أن المصرين أعتادوا تكفين أجساد العظماء وعلى الأخص الشهداء والقديسين ، وحفظها من دون دفنها تحت التراب ، فكانوا يضعونها على منضدة ويحفظونها داخل البيت ، ظانين بأن هذا تكريم للراقدين. فطالما رجا أنطونيوس من الأسقف أن يرشد الشعب ،ووبخ الرجال وزجر النساء قائلاً أنه أمر غير شرعى وغير مقدس أبداً. فها أجساد البطاركة والأنبياء محفوظة حتى هذا اليوم فى القبور. كما أن جسد المسيح نفسة وُضع فى قبر ووضع حجر عند باب القبر، وبقى مدفوناً إلى أن قام فى اليوم الثالث" وبهذا القول أراهم أن عدم دفنهم الأجساد أمر يخالف الشريعة ، حتى لو كانت الأجساد مقدسة فأى جسد أسمى وأقدس من جسد الرب. وعندما سمع الكثيرون هذا الكلام ابتدأوا يدفن الأجساد وشكروا الربَّ ، لأنهم تلقوا تعليماً كهذا. أما هو فإن كان يعرف هذا يخاف من أن يفعلوا هكذا بجسده ، غادر بسرعة بعد أن حيّا الرهبان الذين كانوا فى الجبل الخارجى. ففضل الجبل الداخلى حيث اعتاد الأقامة. وبعد أشهر قليلة مرض فدعا الناسكين الذين نسكا معه مدة خمس عشرة سنة وخدماه فى شيخوختة وقال لهما (...) إذا كنتما تهتمان بى ، فتذكرا أننى أبُ لكما ولا تفحسا فى المجال الأخرين ينقل جسدى إلى مصر كى لا يضعوه فى بيوتهم. لهذا دخُلت الجبل و أتيت إلى هنا. إذّ كما تعلمان كيف كنتُ دائماً أوبّخ الذين يفعلون هذا الأمر حاثا أياهم على الكف عن هذة العادة. ادفنا جسدى تحت التراب واحفظا قولى ، وهو ألاَّ يعرف أحدُ غيركما المكان ، لأننى سأحصل علية بلا فساد فى قيامة الأموات"[10]

---

[8] -(تك 3: 19)

[9]- الرسالة الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولى41 لعام 369 م. مجلة مدرسة الاسكندرية السنة السادسة- العدد الأول 2014م و أنظر أيضاً أنبا شنودة رئيس المتوحدين- سيرتة ، عظاتة ، قوانينة الجزء الأول. ترجمة د/ صموئيل القس قزمان الطبعة الأولى ديسمبر 2009م ص 91 .

[10]- أثناسيوس الرسولى ، سيرة أنبا أنطونيوس ف 90-91 ، ترجمة عن اليونانية ميشال نجم ، أنطونيوس الكبير امنشورات النور بيروت 1983 م ، ص 99- 101 عن كتاب مدرسة الأسكندرية السنة السادسة الجزء الأول ص 258 إلى ص 259 موضع سابق.

3- الأنبا باخوميوس :

كان له رأى مختلف عن هذه الأراء فقبل نياحتة أوصى تادرس تلميذه أن يأخذ جسده بعد دفنه لمكان آخر لا يخبر به أحد. لأنه كان يخشي أن يعتموا له مزاراً ولا يدفنوا جسده فى الأرض ، وكان يقول إن القديسين غير راضيين عن هذا وإن كل من يصنع هذا بهم هو يتاجر بأجساد القديسين.

ولكن ربما نتعجب إذا علمنا أن الأنبا شنوده رئيس المتوحدين كما يري أنه من الحسن الزمان. لمزارات شهداء والصلاة هناك كما فعل هو نفسه أثناء زيارته لمدينة أفسس وقت أنعقاد المجمع المسكونى هناك حيث ذهب إلى مزارات الشهداء هناك وصلى [11]

4- أنبا شنوده :

يركز على الذهاب إلى مزارات الشهداء وهناك وصلى وفى عظة (حيث إنه يليق بالمسحيين) والبركات التى يأخذها المسيحى من الذهاب إلى هناك

(أن تذهب لمزارات الشهداء وتصلى وتقرأ (الكتاب المقدس) وترتل المزامير ونتطهر ، وترفع الذبيحة فى خوف المسيح ، هو أمر حسن هذا هو المثال (الذى رسمته) الكنيسة، وهذا هو قانون بيت الله) [12]

وهو لا يمدح هذا العمل فقط ، بل يحث المؤمنين على الذهاب إلى مزارات الشهداء كما يذهبون إلى الكنيسة.

" انزعوا عنكم كل هذه الرغبات الباطلة من كل نوع وتوجهوا إليها (إلى مزارات الشهداء) ربوات ربوات كما تذهبون إلى الكنيسة)[13]

هنا نلاحظ أن هذه المزارات لم تكن على ما يبدو داخل الكنيسة أو ملحقة بها كما هو الحال اليوم فى أغلب الأحيان بل فى أماكن منفصلة وبعيدة عن الكنائس ومع ذلك كانت تقام بها صلوات وقداسات لذلك كان يحث أنبا شنوده على السلوك داخل هذه المزارات كما يسلكون فى الكنيسة بخشوع وتقوى (السلوك المنتج فى الكنيسة هو نفسه الذى يجب أن يتبع مزارالشهيد أى بلا خطية) وذلك لأنه يعتبر(مزار الشهيد هو بيت المسيح) .

كان الذى يؤرق الأنبا شنوده رئيس المتوحدين هو انتشار العادات السيئة أثناء الأحتفال بتذكارات الشهداء والتى كانت تستمر أياماً فهو يتحدث عن المجون والسكر والسرقة وغيرها من المويقات التى تنتشر عادة فى هذه الموالد لذلك كان حريصاً أن يلفت انتباه سامعيه لوجوب السلوك بتدقيق وتقوى فى هذه الأماكن المقدسة التى تماثل الكنائس فى قدسيتها.

فى ذلك الوقت كثرت مزارات الشهداء فى كل مكان ، فكانت تقام مزارات الشهداء لا يعرف أحد شيئاً عنهم، لذلك كان الأنبا شنوده يحث سامعيه أيضاً على وجوب التفرقة والتميز بين الشهيد الحقيقى والشهيد المزيف. فالشهيد الحقيقى هو فقط الذى كابد الألأم وتحمل من أجل الله ومسيحه. ولذلك فعلى الناس التأكد من أن هذا المزار أو ذاك يخص شهيداً حقيقياً، ليس كما كان يفعل البعض ويقيمون المزارات لكل ما يجدونة من عظام دون التأكد من كونها رفات الشهداء أم لا فيقول لهم:

" يقول البعض لقد ظهر لنا شهداء وقالو لى : أن عظامنا مخبأه فى مكان ما. ولما وصلنا إليهم. وأمسكناهم فى ضلاله. وجدناها عظام كلاب. وآخرون لما كانوا يقومون بالهدم والحفر فى بعض الأماكن. وعثروا على شكل مبنى تحت الأرض وشكل توابيت. فقالوا إنهم شهدوا هل كل من وُضع فى تابوت يكون من الشهداء لا يوضع فيهم كثيرون (من غير الشهداء) مكتوب الغبى يصدق كل كلمة- ويؤمن أيضاً بكل شئ على الإطلاق- والذكى يكون منتبه.[14]

---

[11]- أنبا شنوده ص 92 مرجع سابق
[12]- المجمع السابق ص 92
[13]- المجمع السابق ص 93
[14]- أم 15:14

ما شأنكم أيها الناس يمثل هذا الأمر؟ فكنيسة المسيح، بيت اللة شامخة أكثر منهم جميعاً : لأن الشهداء الحقيقين أيضاً ظاهرون"[15]

5- القديس باسيليوس الكبير:

كتب ق. باسيليوس رسالة إلى الأسقف أركاديوس بمناسبة بنائه كنيسة جديدة جاء فيها :

" لقد سررت للغاية عند سماعى أنك منهمك بمسألة تشييد بيت لمجد اللة – وهذا يدهى كونك صرت مسيحياً- وأنك بالمحبة العملية ، أحببت جمال بيت الرب كما هو مكتوب، أنك بهذا ، قد أعددت لنفسك ذلك القصر السماوي الذى أعد الرب فى راحته للذين يحبونه ، إذ تيسر لى أن أجد أيا من بقايا الشهداء ورجائى أن تكون لى مساهمة فى محاولتك المحبة ".

فى مناسبة تذكار استشهاد ق. برلعام يقول ق. باسيليوس :

" كان موت القديسين يكرم قديماً بالدموع وقرع الصدور فبكى يوسف بمرارة عندما مات يعقوب وناح اليهود كثيراً عندما مات موسي. أما اليوم فإننا نبتهج ونتهلل فى موت القديسين بالمراثى بعد الموت بل نطوف حول قبورهم طوافاً إلهياً. ذلك أن موت الأبرار صار رقاداً بل هو صار حياة ".

فى خطابه عن ق. الشهيد مامانوس يقول :

" إن العجائب التى منح بها القديس الشهيد العافية للبعض والحياة للبعض الأخر إنما هى مشهورة لدى الجميع " .

وفى خطابه عن الشهيدة يوليطه كتب :

" إنه لما نقلت ذخائرها المقدسة إلى مكان خال من الماء تفجر من الأرض نبع ذو ماء فرات حتى أن تلك سكان الجهة سمَّوا القديسة يوليطه منذ يتهم كالأم التى تغذى أولادها باللين"

6- ق. يوحنا ذهبى الفم :

يقول هذا القديس فى كلمته عن الشهيدة ذروسيذا :

" حيث لا ينفع ذهب ولا غنى هناك تفيد بقايا القديسين. لأن الذهب لا يشفى من مرض ولا ينجى من موت ولكن عظام القديسين تفعل الأثنين ".

يشهد القديس ذاته بأن المسيحيين الحسنى العيادة معتادون على :

أن يصلوا أمام البقايا المقدسة.

أن يقيموا الاجتماعات والاحتفالات حولها.

أن يقبلوها قبل المناولة الإلهية.

أن يتمنوا أن يدفنوا إلى جانبها.

[15]- المرجع السابق ص 94

يقول فى تقريظة للقديس أغناطيوس الحامل الإله

" ليست أجساد القديسين وحدها ملأى النعمة بل نفوسهم ذاتها أيضاً لأنه إذا كان كان فى زمن اليشع قد تم شئ من هذا القبيل ، إذ مس الميت لكل من قيود الموت وعاد إلى الحياة فبالأخرى الأن النعمة أغرز وفعل الروح القدس أخصب فمن يمس نعش (القديسين) ذاته عن ايمان لابد وأن يجتذب منه منفعة كبرى ولذلك أبقى الله لنا ذخائر القديسين رغبة منه أن يقودها إلى تلك الغيرة التى كانت فيهم ويمنحنا ميناء وتطيباً حقيقياً ضد الشر المحيط بنا من جميع الجهات".

7- ق. ايرونيموس(جيروم) :

كان يحس ويعلم الشعب إن أجساد القديسين وتكريمنا لها ليست نوع من عبادة الأصنام لذلك يقول:

" نحن بالحقيقة نرفض العيادة لا لبقايا الشهداء فقط بل أيضاً للشمس والقمر والملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارفيم وكل اسم من المسميات لا فى هذا العالم فحسب بل فى العالم الآتى أيضاً. نحن لا نخدم مخلوقاً أكثر من الخالق المبارك إلى الأبد. نكرم بقايا الشهداء ونعبد الرب، الشهداء هم شهداء الرب. إذ نحن نكرم خدام الرب الذين يعكسون آبهم الذي قال : "من يستقبلكم يستقبلنى أنا أيضاً ".

ويتابع القول :

"أنا أريد أن أسأل فيحلا نيوس هل بقايا بطرس وبولس منجسه ؟

هل كان جسد موسي منجساً. الذى نحن نقول فيه : أن الرب نفسه هو الذى دفنه ؟

8- ق. كيرلس الأرشليمى:

يقول فى موعظته الثامنة عشرة :

" ليست أرواح القديسين فقط مستحقة للتكريم، ففى أجسادهم الميتة أيضاً قوة وأقتدار، أن جسد أليشع كاان فى القبر ميتاً ومع ذلك فإذا لمس الميت حي

وَفِيمَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلًا إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الْغُزَاةَ، فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ.[16]

فقام جسد النبي الميت بعمل النفس. ذلك إن كان ميتاً منح الحياة لميت. وظل هو بين الأموات. ولم ذلك؟ خوفاً من أنه لو كان أليشع حياً لعُزيت المعجزة للنفس وحدها. ولكى يبرهن على أنه عندما تكون النفس غائبة، تكمن فى جسد الأبرار بعض القوة بسبب النفس البارة التى سكنت فيه مدة سنة وكان أداة لها. فلا نكن منكرين يا أبنائي ، وكأن ذلك لم يحدث.

حَتَّى كَانَ يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى الْمَرْضَى، فَتَزُولُ عَنْهُمُ الأَمْرَاضُ، وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْ[17].
التى هى من الخارج، تشفى المرضى عندما تلمسهم، فكم بالحرى يستطيع جسد النبى نفسه أن يقيم المائت.

9- ق.أميروسيموس :

ق. أميروسيموس يقول:

ماذا تكرم فى الجسد الفانى؟ أقول لك إنى أكرم فى جسد الشهادة الجراح المقبولة لأجل اسم المسيح. أكرم ذكري الفضيلة الخالدة. أكرم البقايا المقدسة بالاعتراف للسيد.أكرم في التراب بذرة خلود.أكرم الجسد الذى علمنى أن أحب

[16] -(2مل 21:13)
[17] -(أع12:19)

الرب و أنا لا أرهب الموت لأجل الرب ولماذا لا يكرم ذلك الجسد الذى يرتجف منه الأبالسة الذين جرحوه فى العذابات ويمجدونه فى القبر ؟ فكرم إذا الجسد الذى مجد المسيح على الأرض تملك مع المسيح فى المجد."

10- ق. أفرايم السريانى :

يقول في تقريظة :

" وبعد الموت يفعلون كأنهم أحياء فيشفون المرضى ويطردون الشياطين ويقدرة الرب يدفعون كل تأثير شرير لسيطرتهم فى العذاب والتنكيل لأن نعمة الروح القدس الفاعلة المعجزات. انما هى ملازمة أبداً للذخائر المقدسة ".

11- ق. ابيفانيوس :

أسقف قبرص كتب فى ترجة حال الأنبياء القديسين

" أشعيا وإرميا وحزقيال. أن قبور هؤلاء القديسين كانت مرعبة بإكرام عظيم يداعى العجائب العديدة التى فعلها الله عندها لكثيرين بصلوات الأنبياء والقديسين ".

صلاتهم وطلباتهم عنا تكون معنا أمين